Bir Model Olarak İbrahim Nasrallah'ın "el-Melhâtu'l-Filistiniyye" Romanları*

AMNAH OMAR

Öğr. Üyesi, İstanbul Aydın Üniversitesi,
Eğitim Fakültesi, Yabancı Diller Eğitimi Bölümü,
Arap Dili Eğitimi Anabilim Dalı.
amnahomar@aydin.edu.tr
https.//orcid.org 0000-0003-3986-7333

Öz

Tarihi karakterler, tarihin bahsetmediği hakikatleri arkalarına alarak gizlenirler. Roman, bahsedilmeyen bu hakikatlere yönelip onları derinlemesine eşeler. Tarihle romanın çelişmesinin ortaya çıkardığı soruna rağmen bu durum onların kesişmelerine engel olmamıştır. Roman, karakterlerine başvurarak onları olay örgüsünde kullanıp onlara yeni varlık ve sıfatlar kazandırmıştır. Roman, bu karakterleri yaratıcı teknik araçlar kullanarak onları tarihi seviyelerinden hayali seviyelerine taşımıştır. "el-Melhât el-Filistîniyye" romanında tarih, bir referans çerçevesi ortaya koymuştur. Romancı İbrahim Nasrallah etkili tarihi karakterlere başvurarak onlardan kurgusal karakterler yaratmıştır. Bu karakterlerin her birine romanın içinde bir pay vermiştir. Romanın olaylarına tanıklık etmeleri için tarihi karakterler, hayali boyut gereğince tarihi yapılarını kaybetmişlerdir.

Anahtar Kelimeler: *Tarihsel roman, Romansal anlatım, Kurgu, Filistin Komedisi, Roman yapısı, Roman Karakterleri.*

* Makale geliş tarihi / received: 15.03.2020
Makale kabul tarihi / accepted: 30.04.2020
DOI: 10.17932/IAU.ARAP.2019.020/ayad_v02i1003

“The Palestinian Comedy” Novels of Ibrahim Nasrallah as a Model

Abstract

Historical figures hide the facts that history does not mention, and the novel focuses on these hidden and unspoken details. This did not prevent them from dialogue, despite the stability of history and the novel in two opposing places. Thus, the novel was able to rely on history and use its characters to use them in the structure of the narrative text and gave it new entities and qualities, and transmitted it from its historical level to its imaginary level through creative techniques.

In the novel "The Palestinian Comedy," the novelist "Ibrahim Nasrallah" used prominent historical figures, created fictional characters with them, and included them in the narration game. In favor of the imaginative dimension of the novel, the historical figure lost its historical composition, to be a witness and evidence.

Keywords: *Imaginative, the narration, The Palestinian Comedy, fictional characters*

توظيف الشخصيَّات ذات المرجعيَّة التاريخيَّة في الرِّواية
"الملهاة الفلسطينية لإبراهيم نصر الله نموذجاً"

د. آمنة عمر

الملخَّص:

تخبِّىء الشخصيات التاريخية وراءها حقائق لا يذكرها التاريخ، والرواية تتجه نحو هذه الحقائق المخفيّة غير المعلنة وتنبش فيها، فعلى الرغم من الإشكالية التي يطرحها تعارض التاريخ والرواية؛ إلا أنَّ ذلك لم يمنع تقاطعهما، فاتَّكأت الرواية على التاريخ واستعانت بشخصياته ووظَّفتها في بنية السَّرد، ومنحتها كياناً وصفاتٍ جديدة، ونقلتها عبر تقنيات إبداعيّة من مستواها التّاريخيّ إلى مستواها التّخييليّ، وقد شكّل التاريخ مرجعاً لروايات "الملهاة الفلسطينية" فلجأ الروائيّ إبراهيم نصر الله إلى شخصيّاته ، وخلق معها شخصيّات روائية، وأشركها كلّها في لعبة السَّرد، ففقدت

الشخصيّة التاريخيّة تكوينها التاريخي لصالح البعد التَّخييليّ للرواية، لتكون دليلاً وشاهداً على أحداث الرواية.

-المقدِّمة:

إنّ الإشكاليّة التي تطرحها ثنائيّة التاريخ والمتخيّل تكمن في تعارضهما فأحداث التاريخ و شخصيَاته مرتبطة بالواقع ومادّتها الحقيقة، والمتخيَّل مادته الخيال وهو"المادة السرديَّة المنجزة التي تنشأ من خلال العلاقة النشيطة والخلّاقة مع حدث ما، وتعطيه امتدادات كبيرة في الزمن والمكان، وتخرجه من الوثوقيّة إلى النسبيّة. وإذا كان المتخيّل ينشأ على المادّة التاريخيّة أو الفعل المنجز، فهو لا يعطي قيمة كبيرة للحقيقة التاريخيّة كحقيقة مطلقة، ولكن كاستعارة لشيء تسيّد وانتفى وصار جزءاً من الذاكرة الجمعية، ووظيفته في النصّ الروائي هي أقرب إلى الإيهام والاحتمال البعيد؛ منها إلى الحقيقة الثابتة." [1]

و المهارات السردية للكاتب تظهر في قدرته على توظيف كلّ ما هو موثّق وحقيقي، واستغلاله استغلالاً تخييليّاً لتسخيره في خدمة السرد، حتى يصبح جزءاً من البنية السرديّة، فالتَّخييل إذاً هو الذي يحوّل الوثيقة إلى صور حسيّة داخل النصّ الروائي.

1- أهميَّة الشخصيَّة في البناء الروائي:

لقد ارتبط نشوء الرواية وتطوّرها بقدرة الروائيين على خلق شخصيّات تعبِّر عن آرائهم وأفكارهم وتكون حاملاً لرؤاهم، ولديها القدرة على إمتاع القارئ والتأثير فيه. كما أنّ "التحوّل الاجتماعي إبّان الثورة البورجوازية في القرن التاسع عشر، هو الذي أبرز الشخصيّة الروائيّة، ومنحها وجودها المستقلّ عن الحدث الذي صار بدوره تابعاً لها، وظيفته إمداد القارئ بمزيد من المعرفة عنها، ويعود ذلك لصعود قيمة الفرد في المجتمع"[2]، وترتبط الشخصيّة الروائيّة بكلّ عناصر الرواية، فهي ترتبط بالحدث مرّة، وبالزمان مرّة ثانية، وبالمكان مرّة ثالثة، فهي إذاً تتصل بكلّ عناصر الرواية، وتعدّ من المكوّنات الأساسية التي تشكّل بنية النصّ الروائي، وأحد المعايير الأساسيّة التي تكسب العمل

[1]- الأعرج،واسيني،السلسلة الفصلية:الرواية والتاريخ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في قطر، مجموعة باحثين، مقالة الرواية التاريخية/ أوهام الحقيقة، عدد إبريل/2006/ قطر، ص18.

[2]- بحراوي،حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت،الطبعة الأولى 1990م- ص 208.

الروائي قيمته. "إنَّ بناء أيّ شخصيّة في أيّ رواية يعني بناء بقيّة عناصرها، مادامت هذه العناصر كلها تمرّ عبر القلب النابض للرواية، وهو الشخصيّة" [3]

فالشخصية هي العنصر الفعّال الذي ينجز الأفعال في مسار السرد، وهي تعبّر أيضاً عن المرحلة الاجتماعيّة والتاريخيّة التي تعيشها،"ما الشخصية سوى تحديد للأحداث، وما الأحداث إلا توضيح للشخصية"[4]

1-1- الشخصيّات الروائيّة ذات المرجعيّة التاريخيّة:

إنَّ اتِّكاء السرد على الشخصيّات التاريخيّة، يتطلب مهارات سرديّة للتغلِّب على صرامتها، وصهرها في البنية الروائية ، ليلتحم التاريخ مع الخيال، ويتماهيان ليتشكل ما سمّاه "بول ريكور"[5] بالهويَّة السرديَّة: "وهي البؤرة التي يقع فيها التبادل، والتمازج، والتقاطع، والتشابك بين التاريخ والخيال بوساطة السرد، فينتج عن ذلك تشكيل جديد يكون قادراً على التعبيرعن حياة الإنسان بأفضل ممّا يعبِّر عنه التاريخ وحده، أوالسرد الأدبي بذاته، فحياة البشر تُدرك على نحو أسهل وأمتع حين يجري تمثيلها بالتَّخيُّلات التاريخيَّة"[6]

و تنتمي الشخصيَات التاريخيَة إلى مرجعيات عدة كالمرجعية السياسية، والمرجعية الدينية، والمرجعية الثقافية، وتوظيف أيّ شخصية تاريخيّة في بنية السرد يتطلَّب من الروائي معرفة الخلفيّة المرجعيّة لهذه الشخصيّة، والأحداث التي مرت فيها، واللغة التي تتكلمها فاللغة لها أهميّتها الخاصّة، فهي التي تحدِّد المستوى الاجتماعي والفكري للشخصيّة .

بعد ذلك تأتي مقدرة الكاتب على التَّخييل وربط الأحداث، والمزاوجة بين ما ذكر في الوثائق والنصوص وأُثبت، وبين ما لم يُثبت (المسكوت عنه)، "فما لم

---

[3]- عزاوي أحمد،بناء الشخصيّة في الرواية (قراءة في روايات حسن حميد)،اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق- 2007م، ص 21 .

[4] جيمس هنري ،نظرية الرواية في الأدب الإنكليزي الحديث، ترجمة وتقديم: د.أنجيل بطرس سمعان، مراجعة: د.رشاد رشدي،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر- 1971م- ص84 .

[5] - ريكور،بول: فيلسوف فرنسي وعالم إنسانيّات معاصر (1913-2005)، يعدّ امتداد لفريدناند دوسوسير أشهر كتبه (نظرية التأويل -التاريخ والحقيقة-الزمن والحكي- الخطاب وفائض المعنى).

[6]- إبراهيم،عبد الله،التخيّل التاريخي:السرد والإمبراطورية, والتجربة الاستعمارية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،الطبعة الأولى،2011.ص 6 .

يقله التاريخ هو المجال الذي يستطيع الكاتب التجوال فيه بخياله الخلاق، وأيُّ خطأ في هذه المزاوجة قد يفسد المصداقية الوثائقية في العمل الروائي."[7]

2-1- بناء الشخصيّة:

وتكوين الشخصيّة يحتاج إلى عمليّة بناء "فالشخصيّة ليست مجرد صورة لشخص مرجعي، وليست إعادة تركيب نسخي لما هو في الواقع المرجعي، بل هي عملية بناء وتكوين"[8]، إذ يقدّم الروائي الشخصيّة ويجعل لها كياناً، واسماً خاصّاً بها، ويحمّلها صفات معيّنة، ويجعل لها دوراً محدّداً ضمن عالم السرد. فالشخصيّة الروائية كما ذكر رولان بارت هي "نتاج عمل تأليفي" و هي إما أن تكون:

- **شخصيّة مسطَّحة** لا تمتلك عمقاً ولا تتطوَّر ولا تنمو أثناء السرد لكننا نكتشف من خلالها تحولات الشخصية النامية ."فالشخصيّة المسطّحة تدور حول فكرة، أو صفة واحدة، تمكِّننا من معرفتها بسهولة، ومن دون عناء، ولا تحتاج إلى تقديمها أكثر من مرة، بل إنّها تقدَّم مرّة واحدة، لذا فهي لا تتطور بل تبقى على حالها". [9] أوأن تكون:

- **شخصيّة نامية** لها أبعاد متعددة وتمتلك ثراءً وعمقاً، وجميع أحداث الرواية تدور حولها. فحسب جيرالد برنس الشخصيّات الروائيّة "فعّالة حين تخضع للتغيير، مستقرّة حينما لا يكون هناك تناقض في صفاتها وأفعالها، أوسطحية لها بعد واحد، وسمات قليلة، ويمكن التنبؤ بسلوكها، أوعميقة معقّدة، لها أبعاد عديدة، قادرة على القيام بسلوك مفاجئ."[10]

---

[7] - الشمالي،نضال، كتاب الرواية و التاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخيةا العربية: ينظر مبحث التعامل مع الشخصية التاريخية، عالم الكتب الحديث ،الأردن ، إربد ، الطبعة الأولى 2006 ص227 .

[8]- العبد،يمنى،الروا ية العربية: المتخيَّل وبنيته الفنية ، دار الفارابي، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 2011م- ص44

[9]- عزاوي، أحمد،بناء الشخصيّة في الرواية، بناء الشخصيّة في الرواية (قراءة في روايات حسن حميد- اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق،2007م ، ص110 .

[10]- برنس،جيرالد، المصطلح السردي(معجم مصطلحات) ترجمة :عابد خزندار، المشروع القومي للترجمة،العدد368،القاهرة، الطبعة الأولى،2003م، ص 42 .

و ينطبق هذا التصنيف على الشخصيّات التاريخية، التي يتمّ توظيفها في بنية السرد، ويضاف إليه تصنيفها حسب علاقتها بأحداث الرواية، فهي إما :

- **شخصيّات مفعَّلة في الحدث** وتمتلك حضوراً فاعلاً و متميّزاً، و يتيح لها الكاتب أن تشارك في الأحداث.

- **أو شخصيّات مقصاة عن الحدث** لا تساهم في صنعه، ولا تشارك فيه،"هذا اللون من الشخصيّات يكثر تجاذبه في الروايات التاريخية وغير التاريخية، فهذا النوع من الشخصيّات هو إطار في العمل الروائي، تدور الأحداث من خلاله، ولكنّه لايشارك فيها مباشرة". [11]

3-1- كيفية تقديم الشخصيّات في الرواية :

يتّبع الروائي أساليب مختلفة ليقدم شخصياته إلى القارئ و يظهرها:

- فحسب "رولان بورنوف" و"ريال أوئيليه" في كتابهما المشترك (عالم الرواية) يمكن للشخصيات الروائية أن تقدم بأربع صيغ وذلك:

- " بوساطة نفسها.

- بوساطة شخصية أخرى.

- بوساطة راوٍ يكون موضعه خارج القصة.

- بوساطة الشخصيّة نفسها والشخصيّات الأخرى والراوي"[12].

- **أو باستخدام تقنية الوصف** الذي يعدّ إحدى التقنيّات الهامّة في بناء العمل الروائي، وجزءاً من مكوّناته، و هي من الطرق التي يتوسلها الراوي أيضاً ليكشف عن الشخصيّة ويستبطن داخلها، وهذا الوصف إمّا أن يكون :

---

[11]- الشمالي، نضال،الرواية والتاريخ،بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية،عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، 2006م، ص 230

[12]- بورنوف، رولان، أوئيليه ريال، عالم الرواية ،ترجمة نهاد التكرلي ،الشؤون الثقافية العامة، بغداد،الطبعة الأولى،1991م- ص 158

وصفاً خارجياً، يحدّد فيه الروائي الملامح الخارجيّة المميّزة للشخصيّة.أوأن يكون **وصفاً ضمنياً**،وهوالوصف الذي ينهض على تحديد الملامح الداخليّة ويدخل إلى أعماق الشخصيّة، ويظهر أبعادها الوجدانية.

و ضمن هذه المعطيات وحسب الإجراءات النقدية السابقة سنرى كيف وظَّف الروائي " إبراهيم نصرالله" الشخصيّات التاريخية، وكيف قدَّمها في روايات " الملهاة الفلسطينية"

٢ـ المَلْهاة الفلسطينية:

تعدّ المَلْهاة الفلسطينيّة للروائي" إبراهيم نصر الله "[13] مشروعاً إبداعياً له خصوصيّته، فقد شكلت منعطفاً إبداعياً مهمّاً في تجربة نصر الله الإبداعيّة خاصّةً،والتجربة الفلسطينيّة عامَّةً، لأنّها أول ملحمة سرديّة تؤرّخ للاستيطان الصهيوني في فلسطين منذ بداياته، وترصد القضيّة الفلسطينيّة على مدى مئة وخمسة وعشرين عاماً، وقد امتلكت روايات المَلْهاة هذه البنية الملحميّة لأنه لايوجد فيها مصير فردي، بل المصير هو مصير شعب وجماعة بأكملها."يملي اختلاف المصيرين اختلاف البنية الملحميّة عن البنية الروائيّة، فالبنية الأولى جملة علاقات متكاملة ومتناظرة، لا موقع فيها لبداية ونهاية، كما لو كان الفعل الملحميّ يدور في فضاء لا زمن له، غريب عن معنى التوقف والاستئناف

---

[13]- إبراهيم نصرالله : ولد في عمّان، لأبوين فلسطينيين، خرجا لاجئين من فلسطين في عام 1948، يتحرّك إبراهيم نصر الله على مساحة إبداعيّة واسعة بين الشعر، والرواية، والفن التشكيلي، والنقد السينمائي، ما منحه خصوصيّة إبداعيّة.

فقد برز في مجال الشعر فصدرت له اثنتا عشرة مجموعة شعرية.

ومن أعماله الشعرية: "الخيول على مشارف المدينة" عام 1980. و"نعمان يستردّ لونه" عام 1984 و"أناشيد الصباح" عام 1984، و"الفتى والنهر" و"الجنرال" عام 1987. وعواصف القلب عام 1989، وحطب أخضر عام 1991، و"فضيحة الثعلب" 1993، و"الأعمال الشعرية" (مجلد) عام 1994، و"شرفات الخريف" عام 1996، و"كتاب الموت" و"الموتى" عام 1997، و"باسم الأم والابن" عام 1997.

ومن رواياته: "براري الحمى" عام 1985 - "الأمواج البرية" عام 1988 - "عو" 1990 - "مجرد 2 فقط" 1992 - "حارس المدينة الضائعة" 19980, إضافة إلى مشروعه الأدبي (المَلْهاة الفلسطينيّة).

ترجمت رواية "براري الحمى" إلى أربع لغات (الإيطالية, والفرنسية , والإنكليزية, والدانماركية) , ووقع اختيار صحيفة "الجارديان" البريطانية عليها كواحدة من أفضل عشر روايات عربية وعالمية.

كما ترجمت رواية "زمن الخيول البيضاء" إلى الإنكليزية, ووصلت إلى اللائحة القصيرة في الجائزة العالمية للرواية العربية "البوكر" عام 2009

انظر: مجلة أفكار- وزارة الثقافة الأردنية - العدد 263-1993م – مقالة: إبراهيم نصرالله , جامع النص. حسين نشوان – ص89 .

مجلة رمان: مجلة إلكترونية مطبوعة - العدد الثامن – كانون الثاني -2011- مقالة: إبراهيم نصر الله المشاغب البريء الذي نحب.

والتعاقب وهذا الزمن الذي ينكر الفرق بين البدايات والنهايات، يحدِّد الملحمة شكلاً أدبيّاً لصبا الإنسانية .في مقابل الشكل الملحميّ، تظهر الرواية شكلاً مختلفاً في البنية والولادة، فهي من حيث الولادة، أثر موضوعي لشروط اجتماعية معقّدة، تلتبس فيها علاقة الإنسان مع ذاته ومع العالم. وهي من حيث البنية، ترصد تناقضاً متعدِّد المستويات، يشمل الفرد في عالميه الداخلي والخارجي والهدف الذي يسعى إليه."[14]

و قد بلغ عدد روايات المَلْهاة سبعاً وهي: (**طيور الحذر- طفل الممحاة - زيتون الشوارع - أعراس آمنة - تحت شمس الضحى- زمن الخيول البيضاء - قناديل ملك الجليل**).

و مهارة الروائي"إبراهيم نصر الله" في هذه المَلْهاة تتلخّص في ابتكار شخصيات روائية متخيَّلة ودمجها مع الشخصيّات التاريخية، فابتعدت الشخصيّات الروائية عن كونها خيالاً محضاً، والشخصيّات التاريخيّة عن كونها حقيقة خالصة، وامتزجت امتزاجاً جمالياً في عالم الملهاة السردي، وخضعت الشخصيّات ذات المرجعيَّة التاريخية خضوعاً إبداعياً لقواعد الخطاب الروائي و انصاعت لها.

"والمتلقِّي يدرك بفعل إشارات عدّة أنَّه أمام نصٍّ تخييلي، وأنَّ وظيفته ليست وظيفة مرجعية تحيل على واقع فعلي، بل إنّها استمدَّت من الواقع، وصنعت منه عالماً متخيَّلاً وواقعاً"[15]

1-2- الشخصيّات التاريخيّة التي وردت في روايات"الملهاة الفلسطينية" [16]

- الشخصيّات المفعّلة في الحدث:

ومثال على هذا النوع من الشخصيّات:

---

[14]- درّاج،فيصل، نظريّة الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ، بيروت،الطبعة الثانية، 2002م- ص 14- 15

[15]- المسعودي،أحمد،محمد،الخطاب والشخصية في رواية أطياف العرش، مجلة الآداب، بيروت،العدد1-2-السنة 47-1999م، ص88

[16]-سأستثني في بحثي هذا رواية" قناديل ملك الجليل" التي تصنّف كرواية تاريخية، تناول فيها الروائي إبراهيم نصر الله سيرة القائد التاريخي (ظاهر العمر الزيداني) وهي تحتاج لإفراد بحث خاص بها.

١- شخصيّة "نجيب نصّار":

"ولد عام 1865م، وتوفي في حيفا في مطلع سنة 1948م، شيخ الصحافة الفلسطينية كما يصفه كثيرون، جريدة الكرمل تظلُّ إنجازه الأكبر، وهي أوّل صحيفة فلسطينية، نصّبت الكرمل، ولفترة من الزمن، نصّار " أباً " لفلسطين لشدَّة تنديده بـ سماسرة الأرض، ولوضوح فكره في شرح غايات الصهيونية، نادى بإنشاء(جمعية مكافحة الصهيونية) وعمل محامياً و أنصف المظلومين".[17]

- كيف قدِّمت شخصيّة"نجيب نصّار" في رواية (زمن الخيول البيضاء):

لم تحتلّ شخصيّة نجيب نصّار، شيخ الصحفيّين الفلسطينيّين في رواية (زمن الخيول البيضاء)، حيّزاً كبيراً ضمن السرد، فقد أوردها الكاتب للتعريف بالزمن التاريخي في تلك الفترة، وللتعريف بالأوضاع التي كان يعيشها الفلسطينيون آنذاك.

وقد أسند الكاتب مهمة تقديم شخصيّة "نجيب نصّار" داخل بنية السرد إلى **شخصية أخرى**، هو الخوري "إلياس سليم".

"يجب أن تتميّز الشخصيّة المسند إليها تقديم شخصيّة أخرى، بالقدرة على إنجاز التقديم، مما يفرض عليها أن تكون على علم كاف بالشخصية التي ستقدّمها، وهذا ينشأ من طبيعة علاقتها بها". [18] ولذلك ضمَّن الكاتب حوارات الخوري (إلياس سليم) ومونولوجاته إشارات أمدّتنا بمعلومات ابتدائية عن شخصية نجيب نصّارالتي ستظهر في السرد لاحقاً، و ألقت الضوء على بعض تفاصيلها، فمن خلال تقديم شخصية هذا الخوري، ووصف حالته عند وصوله إلى كنيسة "قرية الهادية" أورد الكاتب اسم "نجيب نصّار":

"وصل الهادية غاضباً، كان يحبُّ القدس كثيراً، ويجد فيها حياته الفعليّة، وإذا به في هذه القرية الأكثر هدوءاً من أي مكان دخله من قبل. لم يجد صحفاً ولا مجلات، وقد كان من قرّاء (الأصمعي) و(القدس) وغدت صباحات الثلاثاء

[17]- درّاج ،فيصل، من كتاب ذاكرة المغلوبين (الهزيمة والصهيونية في الخطاب الثقافي الفلسطيني)، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى2002 م، ص 187- 188-189

[18] - أحمد،مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر اللهالمؤسسة العربية للدراسات والنشر-الطبعة الأولى-2005 ص59

والجمعة التي تصدر فيها جريدة(الكرمل) جافّة لأنه لا يستطيع قراءة مقالات **نجيب نصّار**"[19]

ويظهر مدى تأثر "الأب إلياس" بأفكار (نجيب نصار)، في حديثه لنفسه:

"قال لنفسه: تجلس هنا وتقرأ ثم تقرأ وتعلن إعجابك على الملأ وحيثما كنت بكتابات نصّار الذي تعتبره أستاذك، تجلس هنا لتجترَّ ما تقرأه بين هذه الجدران مثلما تجترُّ أيّ بقرة ما يُقدَم لها من أعشاب .في القدس تريد أن تكون مثله، وكنت غير ذلك، فلماذا لا تكون هنا؟ أم أن هذه القرية أقلّ من مقامك؟"[20]

وبعد ذلك أتاح الكاتب لشخصية (نجيب نصّار) أن تقدِّم نفسها **بطريقة مباشرة**، وأن تعبّر عن وجهة نظرها وأفكارها، فقد التقى (نجيب نصّار) (بخالد) الشخصيّة المحوريّة في الرواية مصادفة، وذلك أثناء هروب الأخير وبحثه عن مكان آمن يأويه، فصادف أن دخل إلى بيت شَعر، كان نصّار قد التجأ إليه:

"نظر خالد إلى ذلك الرجل الذي بدا منطلقاً في الحديث معهم أكثر من غيره، وسأل: ولكنكم لم تعرفونا بأخينا الكريم. نطق الرجل اسمه بسرعة مُعفياً الآخرين من تردّدهم، وأضاف وكأنّه يكمل حديثاً: لولا الظُّلم ياشيخ ناصر لما وصلنا إلى ما نحن فيه من الضعف والانحطاط،...كان وقع الكلام قويّاً على خالد وعندما عرف **نجيب نصّار** في آخر الليل أنّه مثله، قال له: نحن إذاً في مركب واحد".[21]

نلاحظ أن شخصيّة **نجيب نصّار** قد وردت في السرد باسمها الحقيقي، وظهرت في المتن السردي مرة واحدة.

وقد استعان نصر الله بها لأنها كانت شخصيّة مؤثرة جداً في ذلك الوقت، ولها حضورها الثقافي والاجتماعي، وأدخلها في نسيج روايته مضفياً عليها بعداً فنيّاً بعد أن أزال الحدود الفاصلة بين السرد والتاريخ، فجعلها تجالس بطل الرواية المتخيَّل (خالد) وتحادثه، موحياً بواقعية هذه الشخصيّة. وقد اختصرت كلمات **نجيب نصّار** تعقيدات الحقبة التاريخية التي كانت تمرّ بها فلسطين، وأرّخ حواره

[19]- رواية زمن الخيول البيضاء: ص 66
[20]- لمصدر السابق: ص67
[21] - رواية زمن الخيول البيضاء: ص136-137

لتلك المرحلة، ولكن وفق شروط الخطاب الروائي،فأدى التاريخ مهمته التوثيقيّة وأدى السرد مهمته التمثيلية .

ـ كيف وُصِفَتْ شخصية "نجيب نصّار":

قدَّم الكاتب شخصيّة **نجيب نصّار** بعجالة، ولم يتوغل في الأعماق الذاتية للشخصية، فلم يكشف السرد العوالم الداخليّة لها، بل لامسها من الخارج، ووصفها وصفاً خارجياً،

" سلَّم الله قلبك قال رجل يرتدي لباس البدو، وقد أضاء عينيه بريق عميق" [22]

فهو لم يزعزع الصورة المكرسة لهذه الشخصيّة في أذهاننا فبقيت كما هي، وجعلها مصدراً للمعلومات فقط.

إذاً لم تكن شخصيّة **نجيب نصَّار** شخصيّة نامية أثّرت على مسار السرد، بل كانت شخصيّة مسطّحة لها دور إسنادي لم تؤثّر في الأحداث ولم تتطوّر خلال السرد.

٢ـشخصيّة "خليل السكاكيني":

خليل السكاكيني (1878م- 1953م) أديب ومربٍّ فلسطيني يعدّ من روَّاد التربية الحديثة في الوطن العربي، مسيحيّ متمسِّك بعروبته، ناهض الكنيسة الكاثوليكية في القدس، وطالب بتعريب لغة الكنيسة ولغة الصلوات فيها، وبألاُيصلَّى باللغة اليونانية فيها، ونتيجة لذلك تمَّ إبعاده عن الكنيسة ورفض تزويجه وطرده من منزله.

وسأستعرض سريعاُ ما أوردته بعض المراجع عن شخصيّة خليل السكاكيني الذي كان نموذجاً للإنسان الوطني والمثقَّف النَّزيه حتى تتضح صورته أكثر.

"إنّ خليل السكاكيني، بتمرّده على الكنيسة اليونانية، جسّد ظاهرة غير مسبوقة في تاريخ فلسطين المعاصر، فهو أوَّل من شرع في نقد الكنيسة ونقد الإيمان التقليدي في فلسطين في بدايات القرن العشرين. كان جريئاً في المجاهرة بآرائه العلمانية، وشديداً على رجال الدين في الكنيسة الأرثوذكسية، في عام 1918م

[22]ـ المصدر السابق:ص136

انضمّ للثورة العربية، وكتب نشيدها. رأى خليل السكاكيني أنّ أكثر الظواهر مدعاة للعياء في المجتمع الفلسطيني هي سيطرة رجال الدين على الرعيّة باسم الدين والقداسة، وراح يجاهر بآرائه في رفض الطقوس كلها، وشرع يدعو إلى الأخذ بروح الإنجيل لا بطقوس الكنيسة".[23]

"يقول السكاكيني في صفحة من صفحات سيرته الذاتية (كذا أنا يا دنيا) وأينما كنت فإني لست إلاّ إنساناً محضاً، ويقول في رسالة لابنه:أحسُّ أنّي من الخالدين، وأنّ الدهر دهري والزمان غلامي، بل أحسّ أنّي أستطيع أن أمسّ القمر بإصبعي.ولذلك لم يكن الدكتور إسحاق موسى الحسيني مخطئاً في قوله الذي جاء مقدمة لـ"كذا أنا يادنيا" حين كتب:"كان السكاكيني من الشخصيّات العظيمة التي تفرض الحب والإعجاب، والذين لم يعرفوه لا يستطيعون أن يَزنوه بكتبه ومقالاته وحدها، فالسكاكيني أعظم من آثاره كلها، وإنسانيته الخصبة تجلّت في حياته أكثر مما تجلّت في مؤلفاته"[24]

ـ كيف قُدِّمتْ شخصيّة "خليل السكاكيني" في رواية (زمن الخيول البيضاء):

لقد قدِّمت شخصية السكاكيني ضمن بنية السرد في رواية (زمن الخيول البيضاء) عن طريق راوٍ هو خارج القصة أي عن طريق **السارد الخارجي للأحداث** .

ـ كيف وُصِفَتْ شخصيّة "خليل السكاكيني":

لم تُذكر في سياق السرد صفات الشخصيّة صراحة، ولم نتبيَّن ملامح شكلها الخارجي، بل ظهرت سماتها وأفكارها عن طريق أفعالها، وعلاقتها مع الآخرين، ومن ثمَّ لغتها؛ التي شكلت مرجعاً مهماً لفهمها وتلمّس كينونتها:

"تم تشكيل لجنة من عشرة أعضاْ لمقابلة الأرشمنديت،استمع لمطالبهم صامتاً حتى النهاية، ثم قال: الامتيازات الممنوحة لنا هي من حقنا، يحق لنا أن نتصرَّف بالمال وأن تكون أماكن الزيارة بيدنا، وإذا ما أعطينا فإننا نعطي على سبيل الإحسان لا أكثر!

[23]-مجلة فلسطين التي تصدر عن جريدة السفير اللبنانية: العدد الرابع -عنوان المقال:خليل السكاكيني من التمرّد إلى العلمانية.

[24]- درّاج،فيصل،ذاكرة المغلوبين (الهزيمة والصهيونية في الخطاب الثقافي الفلسطيني)، ص 166

غضب **خليل السكاكيني**، أحد أعضاء اللجنة و غادر المكان.

- ما الذي حدث؟ سأله أبناء الطائفة.
- ليس أمامنا سوى الحرب."[25]

فقد وردت الشخصيّة في الرواية، حازمة؛ جريئة؛ فالسكاكيني عضو في اللجنة المناهضة للكنيسة، وغضبه من قرار الأرشمنديت وخروجه من مكان اللقاء به أظهر صفات شخصيّته المتمردة.

و هكذا نجد أنَّ شخصيّة السكاكيني الروائيّة قد شكَّلت بديلاً فنيّاً لشخصيّته التاريخيّة، فلم تتعارض الشخصيتان بل أكملت الواحدة الأخرى في نسيج متشابك، تماهى فيه الخطابان التاريخي والروائي.

كما استمدّ إبراهيم نصر الله اللّغة الخاصّة بالسكاكيني، والتي تعبّر عن أفكاره من الوثيقة التاريخيّة، وزجّها ضمن المسار السردي، فالوثيقة تقول لقد كان خليل السكاكيني في تمردِّه على رجال الدِّين " لا ينفكُّ قائلاً: **لاتخافوا السماء لأن سلطتهم** (أي سلطة رجال الدين) **ليست من السماء"**[26]

وقد وظّف نصر الله هذا القول وساقه على لسان السكاكيني في الرواية، فذاب النصّ السابق في النصّ اللاحق، معبّراً عن موقف الشخصيّة وأفكارها:

"إنّ الكلام الذي توحيه لنا الظُّروف الحاضرة هو أن نكون رجالاً أشدّاء، أن نكون يداً واحدة في هذه الحرب المستعرة بيننا وبين رجال الدير، سقط استبداد الحكومة وبقي استبداد الرئاسة الروحية، فلنعمل على إسقاطه، ولا تخشوا في ذلك بأساً، **لا تخافوا السماء لأنّ سلطتهم ليست من السماء.....قال خليل السكاكيني"**.[27]

نجد أن المعلومات التي قدّمها الكاتب عن "السكاكيني" في الرواية كانت قليلة، لكنّها استطاعت توفير الوضوح الكافي لشخصية تبنّت قضيّة ودافعت عنها، فكانت تجسيداً فنيّاً لفلسطينيٍّ معارض، ناهض الكنيسة وسلطتها الظالمة قبل مئة عام من الآن.

---

[25] - رواية زمن الخيول البيضاء: ص 87

[26]- مجلة فلسطين،العدد الرابع،مقالة: خليل السكاكيني من التمرّد إلى العلمانية .-

[27]- رواية زمن الخيول البيضاء: ص 88

ـالشخصيّات المُقْصَاة عن الحدث:

ومثال على الشخصيّات المقصاة عن الحدث في روايات "الملهاة الفلسطينية":

١ـ شخصيّة الرئيس "جمال عبد الناصر":

استدعى الكاتب اسم الرئيس **جمال عبد الناصر** في ملهاته كشخصيّة نضالية استثنائية. لم يشركها في الأحداث بل قدمّها من خلال حوارات الشخصيات الأخرى، وجعلها متوائمة مع صيرورة الحدث، فادَّتْ دوراً جمالياً ووظيفيّاً، امتزجت فيه الشخصيّة الحقيقية مع الشخصيَّات المتخيَّلة في منظومة السرد، ونقل الكاتب من خلالها صورة المناخ السياسي، الذي كان سائداً بعد هزيمة حزيران، فشعور الإحباط واليأس رافقه امتداد للفكر القومي الناصري، الذي كان يعدّ الأمل الوحيد للفلسطينيين والعرب للخروج من مرحلة الهزيمة إلى مرحلة النهوض. لأنَّ الناصريّة كانت في ذلك الوقت مشروعاً لتغيير الواقع.

"جاءت هزيمة حزيران 1967 لتعلنَ انهياراً فكريّاً يطال البنى الاجتماعيّة والسياسية والعسكريّة في العالم العربي بأسره، ففجّرت عدداً من القضايا والمشكلات، وانصرف المفكّرون والسياسيّون إلى إعادة النظر في الموروث، فدعوا إلى النقد والنقد الذاتي وإلى البحث مجدّداً عن جذور النكبة. ولمَّا كانت الظاهرة الروائيّة على علاقة وثيقة بالمناخ الاجتماعي والسياسي ومجمل التغيّرات الخطيرة التي طرأت على الوطن العربي بعد حزيران 1967، فقد حاولت الرواية العربيّة استيعاب الوقائع الجديدة." [28] وقد استطاع إبراهيم نصرالله أن يجسّد واقع هذه الهزيمة، من خلال توظيفه لشخصية **جمال عبد الناصر** .

ـ كيف قدِّمت شخصيّة"جمال عبد الناصر" في رواية (طيور الحذر):

في رواية **(طيور الحذر)** يعيش (علي) النازح من أرضه إثر هزيمة حزيران 1967؛ حالة من الانكسار والشعور بمرارة الهزيمة، فنراه يستمع عبر المذياع إلى أحد خطابات جمال عبد الناصر-الذي دعم القضية الفلسطينيّة وعدّها من

[28]-السبيعي،أباظة، أعلام الأدب العربيّ المعاصر، سيَر وسيَر ذاتية- إعداد: روبرت ب.كامبل- مركز الدراسات للعالم العربي المعاصر،جامعة القدّيس يوسف،بيروت،الشركة المتحدة للتوزيع، الطبعة الأولى 1996، المجلد الأوّل ،ص 91.

أولويَّاته القوميّة- بأعلى صوت في تحدٍّ واضح، لأن هذا الأمر كان يعدّ مجازفة كبيرة:

"هبط للمستشفى، لم يتركوه يدخل، عاد مقهوراً، وجد يوسف يستمع إلى المذياع، تناوله من بين يديه بعد أن ميَّز صوت (عبد الناصر) بصعوبة، من كان يجرؤ على الاستماع إلى ذلك الصوت علناً؟ قلّة قليلة.أمسك المذياع بكلتا يديه، وضعه على حافة سور الحوْش، بعد أن أعلى الصَّوت إلى أقصى درجة ممكنة

صرخ يوسف: ما الذي تفعله؟!

قال: لا أحد يجرؤ على فتح مذياعه لسماعه، فليسمعوه من مذياع آخر.

أطلَّت الرؤوس من أكثر من مكان، بحثاً عن **عبد الناصر** الذي ملأ الجبل فجأة، وكان الأمر أشبه ما يكون بعملية انتحار" [29]

- يورد السارد اسم **جمال عبد الناصر** أيضاً خلال وصفه للحظات اعتقال الأب (عليّ)، وبقاء زوجته عائشة عاجزة عن أيّ فعل :

"من يقدِر على الحكومة؟! من يعصي أوامرها؟ أشجع الشجعان لا يستطيع سماع صوت **جمال عبد الناصر** إلاّ تحت اللحاف، قابضاً على المذياع كما لو أنّه جمرة، من يستطيع أن يتكلَّم في السياسة؟ أو ليس للحيطان أذان تسمع بها وتُراقب؟. [30]

- و في سياق آخر يصف الكاتب حالة القمع والخوف السائدة، التي آل إليها الفلسطينيون بعد النكسة، وتعلّقهم الشديد بشخصيّة **جمال عبد الناصر**، هذا التعلّق أوصل"حنون" إلى أن تنشُدَ باسمه واسم الظّافر والقاهر،وهي صواريخ كان يملكها الجيش المصري.

"**عبد الناصر**، عنده "الظَّافر"

عبد الناصر، عنده "القاهر"

[29]- رواية طيور الحذر: ص 49
[30]- المصدر السابق: ص 160

تتقافز حنّون، تُنَغِّم الكلمات، تحوّلها إلى نشيد" [31]

ـ كما أدّى إعجابها بشخصية جمال عبد النّاصر إلى الادِّعاء بأنَّه أبوها التي لا تعرف عنه شيئاً:

"حنّون التي قالت لها بنات صفّها اللّواتي كنَّ يحملن صور آبائهن: لم لا تُرينا صورة أبيك؟

حنّون التي احتارت، ولم تطل حَيْرتها، حين حملت صورة **عبد النّاصر** في اليوم التالي وقالت: هذا أبي.....لا تستطيع أيّ منكنَّ أن تُنكر أنَّ أبي هو الأجمل، فوافقنها". [32]

2ـشخصيّة الكاتب "غسان كنفاني":

استحضر السرد في رواية **(طيور الحذر)** شخصيّة الكاتب الفلسطيني **غسان كنفاني** وأدخلها ضمن بنيته، ليكشف عمق الأزمة التي تعيشها الصحفية " رندة" خاصةً، والفلسطينيون عامةً، وعَجْز الأدباء والكتّاب عن التعبير عن هذا الواقع، وكشف سلبياته.

ـ كيف قدِّمت شخصيّة "غسّان كنفاني" في رواية (طيور الحذر) :

لم يشرك الكاتب شخصيَّة (غسان كنفاني) بالأحداث مباشرة، بل قدّمها من خلال حوارات ومونولوجات شخصية "رندة" وشخصيّة "آمنة".

ـ تبثّ "رندة" لـ"غسان كنفاني" همومها في مونولوج طويل، وتشكو إليه الواقع، ليكون شاهداً على ما يحدث فتقول:

"أظلّ أتساءل: ما الذي يفعلة كتَّابنا اليوم. لماذا لا يكتبون عن ذلك كلّه؟ منذ ذلك الشجار التاريخي، قرّرت أن أكتب ما أراه، وقد ألقي به ذات يوم بين يديّ كاتب، أو أفتش عن قبرغسان كنفاني وأقول له قُمْ واكتب هذه الحكايات، فالحكاية التي لا نكتبها، أتعرف ما الذي يكون مصيرها؟ اسمح لي يا **غسان،** أن أسألك من قلبي، فأمامك يمكن أن أصرخ أو أجنّ وألاّ أحسّ بإحراج، لأنني

[31]ـ رواية طيور الحذر: ص:270
[32] رواية طيور الحذر: ص 270

أحدثّك أنت، لأنك منّا، هل تعرف ما مصير الحكايات التي لا نكتبها؟ إنّها تصبح مُلكاً لأعدائنا".[33]

كان استحضار شخصية **"غسان كنفاني"** في الرواية استحضاراً إبداعياً، فقد منح السرد دفقاً إيحائياً وجمالياً. وانتقل بين الضمائر، من ضمير الخطاب إلى الغائب مولّداً نوعاً من الإثارة الحركية، على الصعيد الفني.

ونجد هذا واضحاً أيضاً،عبر مونولوج تبوح فيه "آمنة" لزوجها "جمال" عما تخطِّط له "رندة":

"وبصراحة، أنا أصدقها، كيف لا أصدّق رندة؟ هل تعرف مالذي يدور في عقل هذه المجنونة؟ أن تتسللَ من غزّة وتذهب إلى قبر **غسان كنفاني**، آ، **غسان كنفاني** حبيبَك! ثمّ تحفر وتحفر حتى تُحدِثَ فتحةً في القبر وتعطيه كلَّ ما جمعتْهُ من حكايات، وتقول له: في هذه الأوراق من الحياة- رغم الموت الموجود فيها- ما يكفي لأن يجعلك تنفض الموتَ عنك، وتعود للكتابة من جديد!....انظري ماذا فعل، خلال ست وثلاثين سنة، ترك لنا كلَّ هذا الجمال،....أحياناً أخرج لحوش البيت، وأرى الموت يُحلِّق في طائرة الآباتشي أو طائرة إف 16، فأعود للداخل أحمل مجلَّدات غسان، أرفعها إلى السماء وأصرخ: تستطيع أن تفعل كلَّ شيء ولكنك لن تستطيع قتل هذا" [34]

إن استدعاء شخصية "غسان كنفاني"إلى السرد، قد شحن النصّ بدلالات؛ ما كانت لتتأتَّى لولا هذه التِّقنيّة الفنيّة.

ـ الخاتمة:

لقد أعاد الكاتب إبراهيم نصر الله في روايات "الملهاة" اكتشاف الشخصيات التاريخية، و بثَّ الروح فيها من جديد، وطوَّرها فنيّاً ودلالياً، فكان حضور هذه الشخصيات داخل عوالم المتخيَّل شاهداً على الحقائق التي سعى الروائي"إبراهيم نصر الله"إلى إثباتها من خلال مشروعه الروائي .

[33] رواية أعراس آمنة: ص: 62-63
[34]المصدر السابق: ص: 67-68-69

وعلى الرغم من استعانته بالتاريخ و شخصّياته، إلاّ أنه قد خرج من عباءته، ولم ينزلق نحو الخطاب التاريخي، بل حافظ على قواعد الخطاب الروائي الذي قوامه الخيال الفنيّ.

- **المصادر والمراجع:**

- إبراهيم،عبد الله،التخيّل التاريخي:السرد والإمبراطورية, والتجربة الاستعمارية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،الطبعة الأولى،2011م.
- أحمد،مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر اللهالمؤسسة العربية للدراسات والنشر-الطبعة الأولى-2005 م.
- الأعرج واسيني،السلسلة الفصلية:الرواية والتاريخ- المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في قطر، مجموعة باحثين- مقالة الرواية التاريخية/ أوهام الحقيقة، عدد إبريل/2006/ قطر.
- بحرواي حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت،الطبعة الأولى 1990م.
- برنس،جيرالد، المصطلح السردي(معجم مصطلحات) ترجمة :عابد خزندار، المشروع القومي للترجمة،العدد368،القاهرة، الطبعة الأولى،2003م.
- بورنوف، رولان، أوئيليه ريال، عالم الرواية ،ترجمة نهاد التكرلي ،الشؤون الثقافية العامة، بغداد،الطبعة الأولى،1991م.
- جيمس هنري ،نظرية الرواية في الأدب الإنكليزي الحديث، ترجمة وتقديم: د.أنجيل بطرس سمعان، مراجعة: د.رشاد رشدي،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر- 1971م.
- درّاج فيصل، نظريّة الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ، بيروت، الطبعة الثانية، 2002م-
- درّاج فيصل، من كتاب ذاكرة المغلوبين (الهزيمة والصهيونية في الخطاب الثقافي الفلسطيني)، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى2002 م، ص 187- 188-189

- عزاوي أحمد،بناء الشخصيّة في الرواية (قراءة في روايات حسن حميد)،اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق-2007م

- العبد يمنى، الروا ية العربية: المتخيَّل وبنيته الفنية، دار الفارابي، بيروت، لبنان ،الطبعة الأولى 2011م.

- السبيعي،أباظة،أعلام الأدب العربيّ المعاصر، سيَر وسيَر ذاتية، إعداد: روبرت ب.كامبل، مركز الدراسات للعالم العربي المعاصر، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، الشركة المتحدة للتوزيع، الطبعة الأولى 1996، المجلد الأوّل.
- الشمالي نضال، كتاب الرواية و التاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، الطبعة الأولى 2006 .
- المسعودي،أحمد،محمد،الخطاب والشخصية في رواية أطياف العرش، مجلة الآداب، بيروت،العدد1-2-السنة 47 1999م.

- **روايات الملهاة:**
- أعراس آمنة – إبراهيم نصرالله – الدار العربية للعلوم ناشرون – الطبعة الثانية – 2009م.
- تحت شمس الضحى – الدار العربية للعلوم ناشرون – الطبعة الثانية – 2009.
- زمن الخيول البيضاء– الدار العربية للعلوم ناشرون – الطبعة الأولى – 2007.
- زيتون الشوارع – الدار العربية للعلوم ناشرون – الطبعة الثانية – 2009.
- طفل الممحاة – الدار العربية للعلوم ناشرون – الطبعة الثانية – 2009.
- طيور الحذر – إبراهيم نصرالله – الدار العربية للعلوم ناشرون – الطبعة الرابعة – 2009.

- **المجلات:**

مجلة أفكار- وزارة الثقافة الأردنية - العدد 263-1993م

مجلة رمان- مجلة إلكترونية مطبوعة- العدد الثامن – كانون الثاني -2011م